النُّصحُ الوَفِيّ

لِابنِ الجَوزِيّ

للشيخ إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي

(المتوفى: ٦٣٤هـ)

اعتَنَى به أَبو مَشْكُور الإِسْرافِيلي

عَبدِ الشَّكُور بن عَليّ بن عَبد الله الصَّومَالي

كَانَ اللهُ مَعَه فِي الدُّنيَا وَالآخِرة

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما بعد:

فهذه رسالة علمية للشيخ الجليل الزاهد الواعظ الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر إِسْحَاق بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن غانم العلثي، إلى الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي، ينتقد عليه بعض القضايا العلمية التي خاض فيها الإمام ابن الجوزي، وجانب الصواب فيها، أو أخطأ في التعبير عنها.

ومما بيَّن الشيخ في هذه الرسالة ولأجلها نشرتها أن مذهب السلف ليس هو التفويض خلافا للأشاعرة وأذنابهم، وهذه فائدة عظيمة تبيِّن أن هذه الحقيقة عرفها غير ابن تيمية التي تقول الأشاعرة عنه: إنه أوَّل من أنكر أن مذهب السلف هو التفويض، وزد على ذلك أن الشيخ وضَّح هنا سبب نسبة التفويض إلى السلف، وهو أنهم كفوا عَنِ الثرثرة والتشدق، فأنصح الجميع بنشر هذه الرسالة بين طلاب العلم وغيرهم، ليعلموا حقيقة مذهب السلف، وليحذروا من بعض كلام ابن الجوزي الذي وقع في صيد الخاطر ودفع شبه التشبيه وغيرهما من كتبه التي تكلم فيها على أهل السنة.

ويبدوا لي أن أنبَّه هنا مسألة مهمة، وهو أنَّ هؤلاء العلماء الذي وقعوا في التأويل أمثال ابن الجوزي وابن العربي والنووي وابن حجر لهم في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير

من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا لأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.

والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر:١٠]، ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدِّين من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، ومن اتَّبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صوابا بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو وأعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه، فقلّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبعد الناس عن نور النبوة

وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب، والحمد لله ربِّ العالمين. (١)

تُرجُمة مُختَصَرة لِصَاحِب الرِّسَالَة

هو إِسْحَاق بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن غانم العلثي، الزاهد القدوة، أَبُو الفضل، ويقال: أَبُو مُحَمَّد ابن عم طلحة بن المظفر.

سمع من أَبِي الفتح بْن شاتيل، وقرأ بنمْسة عَلَى ابْن كليب وابن الأخضر، وَكَانَ قدوة صالحا زاهدا، فقيها عالما، أمّاراً بالمعروف، نهاء عَنِ المنكر، لا يخاف أحداً إلا الله، ولا تأخذه فِي الله لومة لائم. أنكر عَلَى الخليفة الناصر فمن دونه وواجه الخليفة الناصر وصدعه بالحق.

قَالَ ناصح الدين بْن الحنبلي: هُوَ اليوم شيخ العراق، والقائم بالإنكار عَلَى الْفُقَهَاء والفقراء وغيرهم فيما ترخصوا فِيهِ.

وَقَالَ المنذري: قيل: إنه لَمْ يكن فِي زمانه أَكْثَر إنكارا للمنكر منه، وحبس عَلَى ذَلِكَ مدة.

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي: وَلَهُ رسائل كثيرة إلى الأعيان بالإنكار عَلَيْهِم والنصح لَهُمْ. ورأيت بخطه كتابا أرسله الى الخليفة ببغداد. وأرسل أيضًا إِلَى الشيخ عَلِي بْن إدريس الزاهد - صاحب الشيخ عَبْد القادر - رسالة طويلة، تتضمن إنكار الرقص والسماع والمبالغة فِي ذَلِكَ، وَلَهُ فِي معنى ذَلِكَ عدة رسائل إِلَى غَيْر واحد.

---

(١) درء التعارض (٢/ ١٠٢-١٠٣).

وأرسل رسالة طويلة إِلَى الشيخ أَبِي الفرج بْن الجوزي بالإنكار عَلَيْهِ فيما يقع فِي كلامه من الميل إِلَى أهل التأويل.

وتوفى فِي شَهْر ربيع الأَوَّل، سنة أربع وثلاثين وستمائة، أظنه بالعلث. رَضِيَ الله عَنْهُ. (١)

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٤٤٦).

نَصُّ الرِّسَالَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [١]

من عبيد الله إِسْحَاق بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن غانم العلثي، إِلَى عَبْد الرَّحْمَنِ بْن الجوزي، حمانا الله وإيَّاه من الاستكبار عَن قبول النصائح، ووفقنا وإياه لإتباع السلف الصالح، وبصرنا بالسنة السنية، ولا حرمنا الاهتداء باللفظات النبوية، وأعاذنا من الابتداع من الشريعة المحمدية، فلا حاجة إِلَى ذَلِكَ، فَقَدْ تركنا عَلَى بيضاء نقية، وأكمل الله لنا الدين، وأغنانا عَن آراء المتنطعين.

ففي كتاب الله وسنة رسوله [ﷺ] مقنع لكل من رغب أَوْ رهب، ورزقنا الله الاعتقاد السليم، ولا حرمنا التوفيق، فَإِذَا حرمه العبد لَمْ ينفع التعليم، وعرفنا أقدار نفوسنا، وهدانا الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وَفَوْقَ كُل في علم عليم.

وبعد حمد سبحانه، والصلاة عَلَى رسوله: فلا يخفى أن الدِّين النصيحة،[٢] خصوصا للمولى الكريم، والرب الرحيم،[٣] فكم قَدْ زل قلم، وعثر قدم، وزلق

---

(١) لم يقع في أول الرسالة البدء بالبسملة، وذلك لأني إنما وقفت عليها في ترجمة ناظمها، وليس من عادة المترجمين ذكر البسملة في أول رسائل العلماء. لوائح الأنوار السنية للسفاريني (١/ ١٥٦).

(٢) في نسخة الذيل: (أن لا الدين نصيحة).

(٣) أي: لا سيما إذا كان النصح لله تعالى، بمعنى إخلاص النية له، أو إذا كان فيما يتعلق بالله عز وجل.

متكلم، ولا يحيطون بِهِ علما، قَالَ عز من قائل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحج:٨].

وأنت يا عَبْد الرَّحْمَنِ، فَمَا يزال يبلغ عنك ويسمع منك، ويشاهد فِي كتبك المسموعة عليك، تذكر كثيرا مِمَّن كَانَ قبلك من الْعُلَمَاء بالخطأ، اعتقادا منك: أنك تصدع بالحق من غير محاباة، ولا بد من الجريان فِي ميدان النصح: إِمَّا لتنتفع إِن هداك الله، وإما لتركيب حجة الله عليك، ويحذر النَّاس قولك الفاسد، ولا يغرك كثرة اطلاعك عَلَى العلوم، فرب مبلَّغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه لا فقه لَهُ، ورب بحر كَدر ونهر صاف، فلستَ بأعلمِ من الرسول، حيث قَالَ لَهُ الإمام عُمَر: (أتصلي عَلَى ابْن أَبِيّ)؟ أنزل الْقُرْآن: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة:٨٤]. (١)

ولو كَانَ لا ينكر من قلَّ علمه عَلَى من كثر علمه إِذَا لتعطل الأمر بالمعروف، وصرنا كبني إسرائيل حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [سورة المائدة:٧٩]. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٩) ومسلم (٢٧٧٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري (١٣٦٦) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٥٠): "الْعُلَمَاء لَمْ يَزَالُوا يَتَنَاظَرُونَ وَلَمْ يَزَلْ مِنْهُمُ الْكَبِيرُ لَا يَرْتَفِعُ عَلَى الصَّغِيرِ وَلَا يَمْنَعُونَ الصَّغِيرَ إِذَا عَلِمَ أَنْ يَنْطِقَ بِمَا عَلِمَ وَرُبَّ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ كَبِيرٌ فِي عِلْمِهِ وَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ".

بَل ينكر المفضول عَلَى الفاضل، وينكر الفاجر عَلَى الولي، عَلَى تقدير معرفة الولي، وإلا فأين العنقاء لتطلب، وأين السمندل ليجلب.؟! (١)

إِلَى أَن قال:(٢) واعلم أَنَّهُ قَدْ كثر النكير عليك من الْعُلَمَاء والفضلاء والأخيار فِي الآفاق بمقالتك الفاسدة فِي الصفات، وَقَدْ أبانوا وَهاءَ مقالتك،(٣) وحكوا عنك أنك أبيت النصيحة.

فعندك من الأقوال الَّتِي لا تليق بالسنة مَا يضيق الوقت عَن ذكرها، فذُكر عنك: أنك ذكرت فِي الملائكة المقربين، الكرام الكاتبين، فصلا زعمت أَنَّهُ مواعظ، وَهُوَ تشقيق وتفهيق، وتكلف بشع، خلا أحاديث رَسُول الله ﷺ، وكلام السلف الصالح الَّذِي لا يخالف سنة، فعمدت وجعلتها مناظرة معهم. (٤)

فمن أذن لَك فِي ذَلِكَ؟! وَهُمْ مستغفرون للذين آمنوا، ولا يستكبرون عَن عبادة الله، وَقَدْ قرن شهادته بشهادتهم قبل أولى العلم، وَمَا عَلَيْنَا كَانَ الآدمي أفضل مِنْهُم أم لا، فتلك مسالة أُخْرَى. (٥)

---

(١) مثل يستعمل للشيء الذي يندر وجوده، أو لا يوجد أصلا، ومراده أنه لو لم ينكر من قلَّ علمه عَلَى من كثر علمه لما وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) هذا يدل على أن ابن رجب حذف بعض الرسالة، ووكنا نود ألا يحذف شيئا منها لنفاستها.

(٣) تأمل أن مقالته هي نفي بعض الصفات، مع كونه مضطربا فيها، فعلماء ذاك الزمن بيَّنوا وهاء هذا القول وضعفه، وليت شعري هل ابن تيمية يملي عليهم؟

فكأن الأشاعرة لم يرد عليهم إلا ابن تيمية، ما هذه الحملة على ابن تيمية؟!

(٤) هذا الكلام الذي ذكره الشيخ إسحاق وقع في صيد الخاطر فصل شرف الإنسان (ص/ ٨٨)

(٥) هذا كلام منصف عادل، فصاحب الرسالة لا يناقش في هذه المسألة قطعا، وإنما يستغرب وهو حقيق =

فشرعت تقول: إِذَا ثارت نار الحسد فمن يطفئها؟ وَفِي الغيبة مَا فِيهَا، مَعَ كَلام غث، أليس منا فُلان؟ ومنا فُلان؟ ومنا الأنبياء والأولياء.؟

من فعل هَذَا من السلف قبلك؟!

ولو قَالَ لَك قائل من الملائكة: أليس منكم فرعون وهامان؟!! أليس منكم من ادعى الربوبية؟!

فعمن أخذت هذه الأقوال المحدثة، والعبارات المزوقة، الَّتِي لا طائل تحتها؟! وَقَدْ شغلت بها النَّاس عَنِ الاشتغال بالعلم النَافِع، أحدُهم: قَدْ أنسى الْقُرْآن وَهُوَ يعيد فضل الملائكة ومناظرتهم، ويتكلم بِهِ فِي الآفاق.

فأين الوعظ والتذكير من هذه الأقوال الشنيعة البشعة.؟!

ثُمَّ تعرضت لصفات الخالق تَعَالَى، كأنها صدرت لا من صدر سكن فِيهِ احتشام العلي العظيم، ولا أملاها قلب مليء بالهيبة والتعظيم، بَل من واقعات النفوس البهرجية الزيوف.

وزعمت أَن طائفة من أهل السنة والأخيار تلقوها وَمَا فهموا. وحاشاهم من ذَلِكَ. بَل كفوا عَنِ الثرثرة والتشدق، لا عجزا - بحمد الله - عَنِ الجدال والخصام،

= بالاستغراب عبارات ابن الجوزي في هذه المسألة، فهي عبارات عظيمة لا تليق بمقامه في جانب الملائكة الأبرار المقربين.

وإن كنا نعتقد أن صالحي البشر أفضل من الملائكة باعتبار المآل، وأن الملائكة أفضل منهم باعتبار الحال، لكن يجب علينا احترامهم، وألا نستعمل معهم نحو هذه الأساليب الخطيرة.

ولا جهلا بطرق الْكَلام. وإنما أمسكوا عَنِ الخوض فِي ذَلِكَ عَن علم ودراية، لا عَن جهل وعماية. (١)

والعجب مِمَّن ينتحل مذهب السلف، ولا يرى الخوض فِي الْكَلام، ثُمَّ يقدم عَلَى تفسير مَا لَمْ يره أولا، وَيَقُول: إِذَا قلنا: كَذَا أدى إِلَى كَذَا، ويقيس مَا ثبت من صفات الخالق عَلَى مَا لَمْ يثبت عنده!!، فهذا الَّذِي نهيت عَنْهُ.

وكيف تنقص عهدك وقولك بقول فُلان وفلان من المتأخرين؟!

فلا تشمت بنا المبتدعة فيقولون: تنسبوننا إِلَى البدع وأنتم(٢) أكثر بدعاً منا، أفلا تنظرون إِلَى قَوْل من اعتقدتم سلامة عقده، وتثبتون معرفته وفضله كيف أقول ما لم يقل،

فكيف يَجُوز أَن تتبع المتكلمين فِي آرائهم، وتخوض مَعَ الخائضين فيما خاضوا فِيهِ، ثُمَّ تنكر عَلَيْهِم. هَذَا من العجب العجيب.

ولو أَن مخلوقا وصف مخلوقا مثله بصفات من غَيْر رؤية ولا خبر صادق، لكان كاذبا فِي إخباره. فكيف تصفون الله سبحانه بشيء مَا وقفتم عَلَى صحته، بَل بالظنون والواقعات، وتنفون الصفات الَّتِي رضيها لنفسه، وأخبر بها رسوله بنقل الثقات الأثبات، يحتمل، ويحتمل.

---

(١) هذا كلام ينبغي حفظه.

(٢) أي: الحنابلة.

ثُمَّ لك في الكتاب الني أسميته (الكشف لمشكل الصحيحين) مقالات عجيبة، تارة تحكيها عَنِ الخطابي وغيره من المتأخرين، أطلع هَؤُلاءِ عَلَى الغيب.؟! (١)

أنتم تَقُولُونَ: لا يَجُوز التقليد فِي هَذَا، ثُمَّ ذكره فُلان، ذكره ابْن عقيل. (٢)

فنريد الدليل من الذاكر أَيْضًا، فَهُوَ مجرد دعوى، وليس الْكَلام فِي الله وصفاته بالهيِّن ليلقى إِلَى مجاري الظنون. (٣)

إِلَى أَن قَالَ: إِذَا أردت: كَانَ ابْن عقيل العالم، وإذا أردت: صار لا يفهم، أوهيت مقالته لما أردت.

ثُمَّ قَالَ: وذكرت الْكَلام المحدث عَلَى الْحَدِيث، ثُمَّ قُلْت: والذي يقع لي. فبهذا تقدم عَلَى الله.

---

(١) الكتاب مطبوع بتحقيق المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) أي: تمنع التأويل، ثم أنت المقلد، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن سبب ضلال ابن الجوزي هو تقليده لابن عقيل، لكونه شيخه في التتلمذ على كتبه، وإن لم يلتق به.

قال عنه العلامة ابن رجب الحنبلي : " نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين من ميله إلى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكيرهم عليه في ذلك . ولا ريب أنّ كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وإن كان مطلعًا على الأحاديث والآثار في هذا الباب فلم يكن خبيرًا بحل شبه المتكلمين ، وبيان فسادها ... وكان معظمًا لابن عقيل ، وكان ابن عقيل بارعًا في علم الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب في هذا الباب ... وأبو الفرج تابع له "

انظر مجموع الفتاوى ٤/ ١٦٩ . ودرء التعارض ٧/ ٢٦٣ . وذيل طبقات الحنابلة ٣/ ٤١٤

(٣) لَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يَحْتَجَّ بِقَوْلِ أَحَدٍ فِي مَسَائِلِ النِّزَاعِ وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ النَّصُّ وَالْإِجْمَاعُ، وَدَلِيلٌ مُسْتَنْبَطٌ مِنْ ذَلِكَ تُقَرَّرُ مُقَدِّمَاتُهُ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لَا بِأَقْوَالِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ يُحْتَجُّ لَهَا بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لَا يُحْتَجُّ بِهَا عَلَى الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ. مجموع الفتاوى (٢٦/ ٢٠٢).

وتقول: قَالَ علماؤنا، والذي يقع لي، تتكلمون فِي الله عَزَّ وَجَلَّ بواقعاتكم تخبرون عَن صفاته.

ثُمَّ مَا كفاك حَتَّى قُلْت: هَذَا من تحريف بَعْض الرواة. تحكما من غَيْر دليل. وَمَا رويت عَن ثقة آخر أَنَّهُ قَالَ: قَدْ غيره الراوي فلا ينبغي بالرواة العدولِ: أنهم حرفوا، ولو جوزتم لهُم الرواية بالمعنى، فَهُمْ أقرب إِلَى الإصابة منكم.

وأهل البدع إِذَا كلما رويتم حَدِيثا ينفرون منه، يقولون: يحتمل أَنَّهُ من تغيير بَعْض الرواة. فَإِذَا كَانَ المذكور فِي الصحيح المنقول من تحريف بَعْض الرواة، فقولكم ورأيكم فِي هَذَا يحتمل أَنَّهُ من رأى بَعْض الغواة!!!.

وتقول: قَد انزعج الخطابي لهذه الألفاظ. فَمَا الَّذِي أزعجه دُونَ غيره؟ ونراك تبني شَيْئًا ثُمَّ تنقضه، وتقول: قَدْ قَالَ فُلان وفلان، وتنسب ذَلِكَ إِلَى إمامنا أَحْمَد - رَضِيَ الله عَنْهُ - ومذهبه معروف فِي السكوت عَن مثل هَذَا، ولا يفسره،[1] بل صحح الحديث، ومنع من تأويله.

وكثير مِمَّن أخذ عنك العلم إِذَا رجع إِلَى بيته علم بِمَا فِي عَيبته من العيب، وذم مقالتك وأبطلها. وَقَدْ سمعنا عنك ذَلِكَ من أعيان أَصْحَابك المحبوبين عندك، الَّذِينَ مدحتهم بالعلم، ولا غرض لهُمْ فيك، بَل أدوا النصيحة إِلَى عباد الله، ولك القول وضده منصوران. وكل ذَلِكَ بناء عَلَى الواقعات والخواطر.

---

(١) أي: تفسير الجهمية، أو المبالغة في التعاريف لكون معانيها واضحة، فلا تأويل ولا تحرف ولا تمثيل.

وتدعي أَن الأَصْحَاب خلطوا فِي الصفات، فَقَدْ قبحت أَكْثَر مِنْهُم، وَمَا وسعتك السنة. فاتق الله سبحانه، ولا تتكلم فِيهِ برأيك فهذا خبر غيب، لا يسمع إلا من الرسول المعصوم، فَقَدْ نصبتم حربا للأحاديث الصحيحة، وَالَّذِينَ نقلوها نقلوا شرائع الإِسْلام.

ثُمَّ لَك قصيدة مسموعة عليك فِي سائر الآفاق، اعتقدها قوم، وماتوا بخلاف اعتقادك الآن فيما يبلغ عنك، وسمع منك منها: (١)

ولو رأيت النار هبت، فعدت ... تحرق أهل البغي والعناد
وكلما ألقى فِيهَا حطمت ... وأهلكته، وَهِيَ فِي ازدياد
فيضع الجبار فِيهَا قدما ... جلت عَنِ التشبيه بالأجساد
فتنزوي من هيبته، وتمتلي ... فلو سمعت صوتها ينادي
حسبي حسبي، قَدْ كفاني مَا أرى ... من هيبة أذهبت اشتداد
فاحذر مقال مبتدع فِي قَوْله ... يروم تأويلا بكل واعي

فكيف هذه الأقوال: وَمَا معناها؟ فإنا نخاف أَن تحدث لنا قولا ثالثا، فيذهب الاعتقاد الأَوَّل باطلا، لَقَدْ آذيت عباد الله وأضللتهم، وصار شغلك نقل الأقوال فحسب. (٢)

---

(١) تسمى هذه القصيدة " الدالية في السنة " وهي مخطوطة في ثلاث ورقات – توجد صورة منها في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (١٧٠٢/ ٨) عن جامعة " برنستون " بأمريكا. وهي في كثير من أبياتها – في الجملة – تطابق معتقد أهل السنة والجماعة. أفاده بعضهم.

(٢) ابن الجوزي لم يستقرّ على عقيدة معينة ، ولم يعلم له العلماء عقيدةً معينة ، بل له كتب في إثبات صفات الله تعالى ، ككتاب "مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية" ، ففي هذا الكتاب يعلن ابن الجوزي =

وابن عقيل سامحه الله، قَدْ حكى عَنْهُ: أَنَّهُ تاب بمحضر من علماء وقته من مثل هذه الأقوال، بمدينة السَّلام - عمرها الله بالإسلام والسنة - فَهُوَ بريء - عَلَى هَذَا التقدير - مِمَّا يوجد بخطه، أَوْ ينسب إِلَيْهِ، من التأويلات، والأقوال المخالفة للكتاب والسنة.

وأنا وافدة النَّاس وَالْعُلَمَاء والحفاظ إليك، فإما أَن تنتهي عَن هذه المقالات، وتتوب التوبة النصوح، كَمَا تاب غيرك، وإلا كشفوا لِلنَّاسِ أمرك، وسيروا ذَلِكَ فِي البلاد وبينوا وجه الأقوال الغثة، وَهَذَا أمر تُشُور فِيهِ، وقضى بليل، وَالأَرْض لا تخلو من قائم لله ججة، والجرح لا شك مقدم عَلَى التعديل، والله عَلَى مَا نقول وكيل، وقد أعفر من أنذر. (١)

وإذا تأولت الصفات عَلَى اللغة، وسوغته لنفسك، وأبيت النصيحة، فليس هُوَ مذهب الإمام الكبير أَحْمَد بْن حنبل قدس الله روحه، فلا يمكنك الانتساب إِلَيْهِ بِهَذَا، فاختر لنفسك مذهبا، إِن مكنت من ذَلِكَ، وَمَا زال أَصْحَابنا يجهرون بصريح الحق فِي كُل وقت ولو ضُربوا بالسيوف، لا يخافون فِي الله لومة لائم، ولا يبالون

= إثباته للصفات حتى الصفات الخبرية، ثم إنه في بعض كتبه كدفع شبه التشبيه وصيد الخاطر يختار مذهب التأويل ويتكلم في أهل السنة بغير حق، ثم إنه في بعض كتبه يقرر التفويض ككتاب تلبيس إبليس.

انظر ابن الجوزي وكتابه دفع شبه التشبيه (ص/ ٤).

(١) عبَّر نحو هذه العبارة ابن قدامة في الرد على ابن عقيل (ص/ ٢٠).

بشناعة مشنع، ولا كذب كاذب، وَلَهُمْ من الاسم العذب الهني، وتركهم الدنيا وإعراضهم عَنْهَا اشتغالا بالآخرة: مَا هُوَ معلوم معروف.

ولقد سودت وجوهنا بمقالتك الفاسدة، وانفرادك بنفسك، كأنك جبار من الجبابرة، ولا كرامة لَك ولا نعمى، ولا نمكنك من الجهر بمخالفة السنة، ولو استقبل من الرأي مَا استدبر: لَمْ يحك عنك كَلام فِي السهل، ولا فِي الجبل، ولكن قدر الله، وَمَا شاء فعل، بيننا وبينك كتاب الله وسنة رسوله، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء:٥٩] وَلَمْ يقل: إِلَى ابْن الجوزي.

وترى كُل من أنكر عليك نسبته إِلَى الجهل، ففضل الله أُوتيته وحدك؟!!

وإذا جَهَّلت النَّاس فمن يشهد لَك أنك عالم؟!!

ومن أجهل منك، حيث لا تصغي إِلَى نصيحة ناصح؟!![1]

وتقول: من كَانَ فُلان، ومن كَانَ فُلان، من الأئمة الَّذِينَ وصل العلم إليك عَنْهُم، من أَنْتَ إِذَا؟!!

فلقد استراح من خاف مقام ربه، وأحجم عَنِ الخوض فيما لا يعلم، لئلا يندم.

فانتبه يا مسكين قبل الممات، وحَسِّن القول والعمل، فَقَدْ قرب الأجل، للهِ الأمر من قبل ومن بَعْد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[2]

---

(١) والله ليس ابن الجوزي بجاهل، ولكن العالم إذا تكلم عن غيرة فإنه لا يؤاخذ بكلامه، والشيخ إسحاق نحسبه كذلك، فلا ابن الجوزي بجاهل، ولا إسحاق مؤاخذ بكلامه، ومن كان له علم بالكتاب والسنة وأحوال الأمة عرف حقيقة ذلك وأدلتها ثم يوافقني فيما أقول، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٤٤٦)